ومثله حين جعل الكاتب الروائي (كاملاً) بطل القصة في طفولته ، يمزق صورة أبيه!! فقفز إلى ذهن الناقد مباشرة . . إنه الحقد والكراهية لأبيه الذي ينافسه على أمه . . إنها (عقدة أوديب) إذن !! ماكان من الناقد إلا أن يقول : « وجدتها » بدون الجهد الذي بذله أرخميدس !!

ولامجال بعد هذا للحديث عن الأجواء الجنسية التي تصورها الرواية وهي نموذج لأدب الإنحلال الخلقي القائم على نظريات علم النفس .

وتحذيرنا من هذا الإتفاق غير المعلن بين الأديب والناقد حول الإبداع والنقد على ضوء نظريات علم النفس ، لايعني أننا نحظر على الأديب أن يتثقف ثقافة علمية أو نفسية ، ولكننا نحذر من الإعتماد كلياً على هذه النظريات التي مازالت موضع نقد وتأمل ، إذ لم يستتب التصديق لها كلياً حتى لدى الغربيين أنفسهم .

ثم إن النفس الإنسانية أعم وأشمل من (علم النفس) الحديث في وجوده ، وإن على الأدباء والنقاد أن يعلموا أن علم النفس هذا لايجيب إجابات حاسمة عن كثير مما يتعلق ببواطن النفس وأسرارها ، بل إن فرويد نفسه قد قرر ذلك (١٥).ولكن المنبهرين بعده لايلوون على شيء ويكادون يطمئنون إلى ماانتهى إليه هذا العلم . . دون أن يلتفتوا إلى أن ماميدانه النفس يختلف عما يكون ميدانه المختبر الكيماوي أوالعلم التجريبي ، إن النفس الإنسانية ستظل لغزاً محيراً ، وسيظل الإنسان يبحث عن أسرار ذاته وذوات الآخرين إلى أن يرث الأرض ومن عليها .

ويمكن أن ننهي ملاحظاتنا العامة عن المنهج النفسي بما يلي :

اولاً : إن هذاالمنهج كثيراً مايُعنى بعملية الإبداع ، أو شخصية الأديب ،أو نفسية المتلقي ، ولنكه يظل غير قريب من الأثر الفني نفسه ، وإنه يتخذ النتاج الأدبي والفني وسيلة لغاية أخرى ، وإن العمل الفني الردي،كالعمل الجيد من حيث الدلالة النفسية عنده .

ثانياً : إنه يخضع الأدب إلى قواعد وقوانين علم النفس ، أو العلوم الطبيعية والبيلوجية ،وبهذا نكون قد خلصنا الأدب من الخضوع للقواعد الفلسفية وأخضعناه إلى قواعد جديدة .